

# شعر جديد في نظر حنفيد جديد

بقلم الدكتور محمد مندور



موسيقيا ممن درسوا فن الموسيقى العالية في اكبر معاهد باريس راقته قصيدة من الشعر الحديث في صورته الجديدة فلحنها وغنتها على ايقاع اللحن مطربة جميلة الصوت ، ولما كان هناك نظام في اذاعة القاهرة يقضي بالآذاع اية اغنية الا بعد موافقة لجنة تسمى لجنة النصوص فقد عرضت القصيدة على هذه اللجنة التي تضم عضوا من اعضاء لجنة الشعر بالمجلس الاعلى ، واذا بهذا العضو الفاضل يرفض ان ينظر في القصيدة اصلا لمجرد انها غير مكتوبة على عمود الشعر التقليدي . وكاد موقف هذا العضو المحترم يحرم جمهورنا من هذه القصيدة الرائعة لولا ان توفرت داخل اللجنة اغلبية اقرت نصها .

وكانت احداث النواذر التي يناقها ادياء القاهرة ما اشترطته لجنة الشعر على كل شاعر تختاره للاشتراك في مهرجان الشعر الاخير الذي انعقد في دمشق من ضرورة اعداد قصيدة تسيير على العمود التقليدي لاقائها في هذا المهرجان ، مما اضطر عددا من شعرائنا الجدد ان ينظموا قصائد تقليدية بل جاهلية الجزالة ، ولربما التزم بعضهم فيها مالا يلزم لكي يرضوا لجنة الشعر الموقرة ، ولكي يثبتوا لها قدرتهم على نظم الشعر التقليدي ، وانهم لم يجددوا في صورة القصيدة العربية عن عجز وفرار من قيود الشعر التقليدي بل استجابة لحافز نفسي بشعرهم بان الصورة الجديدة للقصيدة العربية اكثر مواتاة لبعض اغراض الشعر ومواضيعه . وهذا هو مانح ان نجلوه للسادة المتعصبين للتقديم لقدمه ، مع ان بعضهم كان في يوم من الايام من دعاة نوع من التجديد وخصوم الشعر العربي التقليدي الالاء في العصر الحديث ايام احمد شوقي وحافظ ابراهيم واضرابهما من الفحول .

فهؤلاء السادة المتعصبون من حقهم بل من واجبهم ان يعلموا ان كل تجديد في الفن لا بد ان يسبقه تجديد في الحياة واتجاهات التفكير واوضاع المجتمع يسوق السى هذا التجديد الفني .

فمما لاشك فيه ان العقلية العربية اخذت تتطور في السنوات الاخيرة تطورا كبيرا من العاطفية الخالصة نحو

استفحلت قضية الشعر الجديد على نحو مثير في جمهوريتنا العربية المتحدة بنوع خاص بعد ان اخذ اعضاء لجنة الشعر برياسة الاستاذ عباس محمود العقاد في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب يتعصبون ضد هذا الشعر ويستغلون مراكزهم في الضغط على قائله ليردعوهم عنه كأنه رجس من عمل الشيطان ، او ليخرجوهم ولو قسرا من محراب الشعر حتى ليتناقل الادياء في القاهرة طرائف تثير الضحك ، وقد يكون من واجبا ان نشرك غير القاهريين من ابناء العروبة في التفكك معنا من طرافتها . فمن ذلك مثلا مايتناقلونه من انه عندما اجتمعت هذه اللجنة العتيدة للنظر فيما انتج الشعراء من شعر ايام العدوان الثلاثي على مصر تمهيدا لتوزيع الجوائز التي قرر المجلس منحها لاحسن شعراء تلك المعركة تناول الاستاذ العقاد كل ماتقدم به الشعراء من قصائد قديمة الصورة او جديدها واخذ يفرزها ليضع جانبا القصائد ذات الصورة الجديدة ثم يجمعها كلها في ملف واحد ليكتب على غلافه : « الى لجنة النشر للاختصاص » ، وسواء اصحت هذه الرواية بحرفيتها ام لم تصح فانها بلا ريب صحيحة بدلالاتها . فجماعة لجنة الشعر ترفض كل شعر جديد حتى دون ان تقرأه وتبين هل فيه مقومات الشعر وعناصره ام لا ، بحيث يذكرونا موقفها من هذا الشعر بموقف رجل التقى به يوما المرحوم قاسم امين رائد الدعوة الى تحرير المرأة العربية ومؤلف كتاب « تحرير المرأة » ، واذا بهذا الرجل يلعن هذا الكتاب ويسبب سبابا مقدعا فيسأله قاسم امين في روية الفيلسوف وهدوء الفكر الحر : « ولكن هل قرأت الكتاب ؟ » فيجيبه صاحبا قائلا : « انا لا اقرأ ولا يمكن ان اقرأ كتابا يخالف رأبي ! » ويروي المرحوم قاسم امين هذه الاقصوصة دون ان يعلق عليها بكلمة واحدة لانها في غنى عن كل تعليق ، فالرجل الذي يرفض ان يقرأ كتابا قبل ان يبيح لنفسه الحق في الحكم له او عليه رجل لا يستحق الا ان نسأل له الله الرحمة .

ونادرة اخرى قد لا يعرفها الكثير من القاهريين انفسهم ، ولكنني شهدتها بنفسي ، ويسرني او يحزنني ان اروها هنا الى القراء العرب ليشاركوني التفكك بها ، وذلك ان ملحننا

قصائد نزار قباني التي كتبها في هذه الصورة الجديدة ،  
وفي دواوين غيره من شعراء المدرسة الجديدة مثل أحمد  
عبد المعطي حجازي وبدر السياب وغيرهما .

واخيرا احب للسادة المتعصبين ان يعلموا ان الشعر  
لم يعد متاع الخواص وحدهم ، واننا قد اصبحنا الان في  
عصر الشعوب التي من حقها ان تتمتع بالشعر مما يدفع  
شعراءنا المجددين ان يلتفتوا احيانا من لغة الشعب تعبيرات  
جميلة فصيحة في جوهرها رغم العصور الشعبي الذي  
يجري فيها ، وما دامت مثل هذه التعبيرات على بساطتها  
ليست سوقية ولا مبتذلة ولا خارجة على اصول الفصحى  
فلسنا ندري لماذا ننحيا عن الشعر الذي لم يعد يعترف  
احد من الشعراء العالميين المعاصرين في كافة اللغات بان له  
لغة خاصة فضلا عن ان تكون لغة الجاهلية الاولى .

ولما كنا نود ان نحرص على الانصاف والا نتعصب للجديد  
لمجرد جدته كما يتعصب الآخرون للقديم لمجرد قدمه فاننا  
نحرص على ان نسجل ما على الشعر الجديد كما سجلنا  
ما له ، فمن المؤكد ان انحصار الشعر الجديد في الازان  
الموحدة التفعيلة يحرق من انواع اخرى كثيرة من الازان  
الموسيقية ، وان اختلاف عدد التفاعيل في اسطر القصيدة  
الجديدة يولد او يمكن ان يولد انواعا من النغم والايقاع  
ان تنقد القصيدة من الرتبة المملة ، وكل ذلك فضلا عن انني  
لا اظن ان الصورة الجديدة للقصيدة تصلح لكافة المزامين  
وهذا هو ما يحسه شعراؤنا المجددون بفطراتهم الشعرية  
الصادقة حيث نراهم جميعا تقريبا يكتبون الشعر في الصورة  
القديمية والصورة الجديدة على السواء وفقا لمضمون كل  
قصيدة ، ونوع التيار النفسي الذي تصدر عنه .

ونحن في النهاية لا يمكن ان ندعي ان كل شعر جديد  
جيد ، كما لا يستطيع احد مدرك ان يدعي ان كل قديم  
جيد . فالشعر الجديد قد نرفضه ويجب ان نرفضه ان  
نعتبر بعضه شعرا على الاطلاق ، وذلك عندما تتحطم  
موسيقاه او يصاغ بلغة نثرية تقريرية مسطحة او بعبارات  
مبتذلة مسفة او يخلو من التصوير البياني الذي يمتاز به  
الشعر الحق .

واذا كان هناك شيء اساء الى قضية الشعر الجديد  
فهو بلا ريب اعتقاد بعض الشبان السذج ان الشعر الجديد  
عبارة عن جمل نثرية توزع على الاسطر ، ثم تدفع الى  
بعض الصحف والمجلات التي يشرف عليها قوم يعجزون  
عن تمييز الشعر عن النثر فينشروا هذه السخافات على  
انها شعر جديد ، والشعر منها براء ، ولكنه من الواضح ان  
مثل هذه السخافات لا يمكن ولا يجب ان تنهض دليلا ضد  
هذا الشعر الجديد الذي يبلغ بعضه ذروة الشعرية في  
موسيقاه وايقاعاته وصوره الشعرية المرهفة .

ما يمكن ان نسميه بالوجدان الفكري الذي يساير التقدم  
العلمي العالمي والوعي الاجتماعي النامي في كافة بقاع العالم  
بما فيها عالمنا العربي . ولما كان الشعر فنا جميلا قبل كل  
شيء وكان لابد له من الاحتفاظ بهذا الطابع الجمالي رغم  
تغير المضمون وقيامه على الخواطر الفكرية التي تلونها  
العاطفة ، فقد وجد شعراؤنا الشبان الجدد انفسهم بين  
امرين : اما ان يحتفظوا للقصيدة العربية بشكلها التقليدي  
القائم على وحدة البيت ، رغم تغير المضمون فيأتي شعرهم  
فكريا تقريريا باردا ، واما ان يغيروا من شكل القصيدة  
بما يتفق مع القالب الجديد الذي اختاروه للتعبير عن  
افكارهم الجديدة ووعيهم الجديد ، وهو قالب القصة او  
الدراما القصيرة التي يستطيعون تحميلها ما يريدون من  
معاني الفكر وحقائق الوجدان الجماعي الجديد ، ففضلوا  
ان يختاروا لشعرهم الازان الموحدة التفعيلة وان يجعلوا  
الوحدة الموسيقية الجزئية في شعرهم « التفعيلة » لا البيت  
على ان تعتبر القصيدة كلها وحدة موسيقية متكاملة رغم  
تسلسلها في تفاعيل . وهذا هو مانجده في عدد من القصائد  
الجديدة الجيدة مثل قصيدة « شفق زهران » لصالح عبد  
الصور التي يصور فيها مأساة دنشواي وفتك الجنود  
الانجليز ظلما باهل هذه القرية المصرية التي نكبت بعدوانهم  
ومثل قصيدة ذكرى جواد حسني للملك عبد العزيز التي  
تصور فيها بطولة هذا الشاب الشهيد في معركة بورس  
سعيد وغدر الفرنسيين به واغتيالهم له والقاء جثته في  
البحر ، وهي تصور هذه المأساة الوطنية على نحو يهز  
الوجدان بتصويره اللغوي وموسيقاه الموحية ، ومن امثال  
ذلك قصيدة للشاعر هارون هاشم رشيد يصور فيها  
فتك المعتدين بقربة في فلسطين واحراقها وتشتيت نساها  
واطفالها في مجاهل الارض على نحو مثير لالذات اذكر  
كيف انه ابكى اطفال الصغار ، وما من شك في ان الصورة  
الموسيقية الجديدة للقصيدة العربية وهي الصورة القائمة  
على وحدة التفعيلة تعتبر اكثر عونا للشاعر على رسم  
صورة قصصية لمثل هذه المآسي .

ثم ان السادة المتعصبين ضد الشعر الجديد يحق لهم  
بل يجب عليهم ان يعلموا ايضا ان الشعر لم يعد كما كان  
زينة للمحافل ومدائح للملوك تنشد على الجماهير ، بل  
اصبح اداة للتعبير الصادق المخلص عما تثيره احداث الحياة  
في نفس الشاعر من خواطر وانفعالات ، وبذلك لم يعد  
الشعر في كل حالة ضربا من الخطابة ، بل اصبح في حالات  
كثيرة نوعا من مناجاة الانسان لنفسه او لآخيه الانسان  
او المواطن ، وبذلك لم تعد الصورة التقليدية للقصيدة العربية  
ضرورة حتمية ، فالصورة القديمة ربما كانت اكثر صلاحية  
للخطابة الشعرية منها للمناجاة ، بينما الصورة الجديدة  
تعتبر اصلح قالب موسيقي لهذه المناجاة التي لا تحتاج  
الى ضجيج او طنطنة ، ويكفيها الصدق الهامس على نحو  
مانحس في عدد من قصائد احدي رائدات هذه الصورة  
البرزات الانسية نازك الملائكة ، وعلى نحو مانحس ايضا في